KARAMANOĞLU MEHMETBEY ÜNİVERSİTESİ

ULUSLARARASI
FİLOLOJİ ve ÇEVİRİBİLİM DERGİSİ

INTERNATIONAL JOURNAL OF
PHILOLOGY and TRANSLATION STUDIES

MAKALE BİLGİLERİ
ARTICLE INFO

Geliş Tarihi / Submission Date
31.05.2020

Kabul Tarihi / Admission Date
18.06.2020

e-ISSN
2687-5586

Cilt: 2, Sayı: 1, (2020): 101-125

Künye: (Araştırma Makalesi) Aly, Emad Abdelbaky Abdelbaky - Can, Ahmet Hamdi - Can, Betül (2020). "دراسة صيغة الفعل في تفسير البيضاوي: نماذج مختارة من حاشية الشهاب و حاشية القونوي", *Karamanoğlu Mehmetbey Üniversitesi Uluslararası Filoloji ve Çeviribilim Dergisi*, C.2/1, s.101-125

دراسة صيغة الفعل في تفسير البيضاوي:
نماذج مختارة من حاشية الشهاب وحاشية القونوي

BEYZÂVÎ TEFSİRİNDE FİİL KİPLERİ ÜZERİNE BİR ÇALIŞMA: HÂŞİYETU'Ş-ŞİHÂB VE HÂŞİYETU'L-KONEVÎ'DEN SEÇME ÖRNEKLER
A STUDY ON THE MOODS İN THE EXEGESİS OF AL-BAYDAWİ: EXAMPLES FROM HASHEYAT AL-SHEHAB AND HASHEYAT AL-KONAWİ

Emad Abdelbaky Abdelbaky ALY
Dr. Öğr. Üyesi, Karamanoğlu Mehmetbey Üniversitesi, Yabancı Diller Yüksekokulu, Mütercim ve Tercümanlık Bölümü, Karaman-Türkiye, emadaly@kmu.edu.tr
Ahmet Hamdi CAN
Dr. Öğr. Üyesi, Karamanoğlu Mehmetbey Üniversitesi, Yabancı Diller Yüksekokulu, Mütercim ve Tercümanlık Bölümü, Karaman-Türkiye, ahamdican@kmu.edu.tr
Betül CAN
Doç. Dr., Selçuk Üniversitesi, Yabancı Diller Yüksekokulu, Mütercim ve Tercümanlık Bölümü, Konya- Türkiye, canbetul@gmail.com

ملخص

تبدأ بعض الآيات بزمن (المضارع) ثم تكتمل بزمن آخر(المستقبل)؛ لذا ينظر البحث في صيغة الأفعال في الجملة داخل آيات القرآن الكريم، وتغيّرها وتبدّلها من زمن إلى زمن آخر، من منظور علم اللغة، تبعًا لما تكلّم عنه ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي وبعض النماذج من حاشية القونوي علي تفسير البيضاوي في تفسير البيضاوي، ويعتمد البحث على بعض النماذج من حاشية الشهاب، الإمام البيضاوي وكيفية تفسير الحاشيتين داخل الآيات القرآنية عن طريق متابعة التعليقات اللغوية التي ظهرت في تفسير البيضاوي ومثيلاتها في حاشية الشهاب والمقارنة بينها وبين حاشية القونوي. حيث انتشرت ظاهرة تغيّر صيغة الزمن في الآيات القرآنية وكان لها الأثر البالغ في تغير الدلالة اللغوية الخاصة بالجملة، وبالتالي ينتج عنه تغيّر المعنى؛ وبطبيعة الحال تثرى الدلالة اللغوية بثراء الصيغ الزمنية، ويدور الحديث في البحث حول ثلاثة مباحث رئيسة؛ المبحث الأول حول الآيات التي بدأ الحديث فيها بالزمن الماضي، وتم العدول إلى زمن آخر، أما المبحث الثاني فيدور حول الآيات التي بدأ الحديث فيها بالزمن الحالي (المضارع) وتم العدول بعد ذلك إلى زمن آخر، ويدور المبحث الثالث حول الآيات التي بدأ الحديث فيها بزمن المستقبل، مع النظر إلى جهود اللغويين الأتراك من خلال متابعة حاشية القونوي على تفسير البيضاوي؛ ومناقشة ما يتعلق بعلم الدلالة واللغة.

الكلمات المفتاحية: آيات القرآن الكريم، تفسير البيضاوي، الدلالة اللغوية، صيغ الزمن، علم اللغة

Öz

Bazı ayetler bir zaman kipinde başlar (muzârî gibi) ve başka bir zaman kipiyle (gelecek zaman gibi) devam eder. O nedenle bu çalışma Beydâvî tefsiri ve bu tefsir üzerine yazılmış Hâşiyetu'ş-Şihâb ve ayrıca Hâşiyetu'l-Konevî isimli eserler baz alınarak Kuran-ı Kerîm'deki cümlelerde (ayet) geçen fiil kiplerini, kiplerin bir zamandan başka bir zamana doğru olan değişim ve dönüşümlerini dilbilimsel açıdan ele almaktadır. Elinizdeki çalışma aynı zamanda Hâşiyetu'ş-Şihâb'ın Kurân ayetlerindeki bu kip değişim ve dönüşümlerine nasıl yaklaştığı üzerinde de durmaktadır. Ayetlerdeki fiil kiplerinin zamansal değişimi cümlenin dilbilimsel açıdan göstergelerini de derinden etkilemektedir. Bunun bir sonucu olarak anlamsal değişiklik olgusu ortaya çıkmaktadır. Doğal olarak göstergelerdeki değişimden kaynaklı zenginlik zaman kiplerini de zenginleştirmektedir. Bu noktadan hareketle elinizdeki çalışma üç ana bölüm altında işlenmiştir. Birinci bölüm sözün mâzî zaman kipinde başlayıp başka bir zamana intikalini, ikinci bölüm sözün muzârî zaman kipinde başlayıp başka bir zamana intikalini ve üçüncü bölüm ise sözün gelecek zaman kipinde başlayıp başka bir zamana intikalini örnekleriyle ele alıp göstergebilim ve dilbilim çerçevesinde konuyu tartışmayı amaçlamaktadır.

Anahtar Sözcükler: Ayetler, Fiil Kipi, Beydavi Tefsiri, Göstergebilim, Dilbilim

Abstract

In this study, the moods in the verses from the Quran and the changes and transformations of these moods from one tense to another tense are discussed within the linguistic perspective with regards to al-Baydawi Interpretation, the Work Hasheyat al-Shehab (Haşiyetu'ş-Şihâb) written on this Interpretation and the Work Hasheyat al-Konawi (Hâşiyetu'l-Konevî). In this study it is also emphasized how Hasheyat al-Shehab approaches to the changes and transformations of these moods in the verses from the Quran. The temporal variation of the moods in the verses affects the linguistic signs of the sentence deeply as well. As a result, the semantic change phenomenon emerges. Naturally, the abundance based on the changes in the signs, enriches the moods too. From this point forth, the study consists of three main sections. In the first section, the transition of the mood in the verse from the past tense to another one, in the second section the transition of the mood in the verse from present tense to another one, and in the third section the transition of the mood in the verse from future tense to another one are aimed to be handled within examples and discussed with regards to semiotics and linguistics.

Key Words: Verses from the Quran, Mood, Baydawi Interpretation, Semiotics, Linguistics

مدخل

يدور هذا البحث اللغوي الدلالي حول صيغ الجملة الفعلية في القرآن الكريم، والتغيّر الذي يحدث داخل الجملة في الآيات الكريمة، عن طريق الانتقال من التعبير عن الزمن الماضي إلى التعبير عن الزمن الحاضر، أو العدول عن التعبير بالزمن الحاضر إلى التعبير بزمن المستقبل داخل آيات القرآن الكريم، من خلال متابعة مناقشات وتعليقات حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، والمقارنة بين ما جاء فيها وما جاء في حاشية القونوي على نفس التفسير؛ لإلقاء الضوء على تلك الظاهرة المهمة في بناء الجملة في القرآن الكريم، وتتبعها عبر النظر في معطيات المنهج الوصفي من خلال التحليل اللغوي، واخترنا تفسير البيضاوي خاصة لأنه يجمع بين التفاسير المختلفة، ولكثرة الشروح عليه، كما كثر الأئمة واللغويون الذي كتبوا حواشي من أجله، ولوجود حواشي من لغويين ومفسرين أتراك وعرب من أجله وهو ما يخدم موضوع البحث حيث يقوم البحث على المقارنة بين الوجهة العربية والوجهة التركية، ولاشتهاره وتداوله بين الأيدي؛ لأن البيضاوي "لخّص فيه من (الكشاف) ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن (التفسير الكبير) ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن (تفسير الراغب) ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات" (خليفة، د.ت.، 1: 186).

اجتهد العلماء والمفسرون في تقديم تأويلهم لآيات القرآن الكريم مستعينين في ذلك بعلم النحو وغيره من علوم اللغة، لذا فقد ارتبطت علوم اللغة بعلم التفسير منذ نشأته، وعلى هذا يؤخذ بكتب تفسير القرآن في الاحتجاج اللغوي منذ القِدم، خاصة مع اشتمالها على الكثير من الشواهد الشعرية والقضايا اللغوية، والتفسير لغويًا يعني: "الإبانة والتوضيح" (الفيروز آبادى، 2003، 110). وفي مختار الصحَّاح مادة "ف.س.ر": البيان وبابه ضرب، والتفسير مثله، واستفسره كذا؛ أي سأله أن يفسره" (الرازي، 2002، 503).

قسَّم النحاة الفعل في اللغة العربية إلى ثلاثة أزمنة؛ زمن الماضي، والزمن الحالي، وزمن المستقبل، يقول سيبويه: "وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى،

ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع" (سيبويه، 1988، 12:1)، (ابن عقيل، 1980، 15). إلا أنّ مجيئ بعض الأفعال في آيات القرآن الكريم ظهر على خلاف المعروف، ففي بعض الأحيان ابتدأت الآيات القرآنية بصيغة زمن الماضي ثم انتقل الحديث إلى التعبير بصيغة زمن المضارع، نحو قوله تعالى في القرآن الكريم: {وَٱللَّهُ ٱلَّذِى أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ} (فاطر 9/35). وفي أحيان أخرى ابتدأت الآيات القرآنية بصيغة الزمن الحالي ثم انتقلت إلى الحديث بصيغة زمن الماضي، من مثل قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ} (النمل 87/27). وقد تداول قُدامى اللغويين الحديث عن تلك الظاهرة؛ من مثل (ضياء الدين ابن الأثير)، حيث تكلّم عن هذه الظاهرة ضمن حديثه عن ظاهرة الالتفات في اللغة العربية في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، على أنّه اتّسع في مصطلح الالتفات ليشمل الأفعال أيضًا، فقال: "واعلم أنَّ التحوّل عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية، اقتضت ذلك، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطّلع على أسرارها، وفتّش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقّها فهمًا وأغمضها طريقًا" (ابن الأثير، 1983، 193)، كما تكلم عن تلك الظاهرة أو هذا الأسلوب (الزركشي) وكذلك (ابن قتيبة) وغيرهما، فهذا الأسلوب (تغير الزمن) من رموز الفصاحة والبلاغة التي اشتهرت بها اللغة العربية والعرب، لذلك فقد ظهرت في كلامهم كما ظهرت في أشعارهم، ولا يتم العدول عن هذا الأسلوب في الكلام بغيره من الكلام أو من الأساليب–كالاستمرار في الحديث بزمن واحد داخل الجملة– ما أمكن إلى ذلك السبيل؛ لأنه من أفصح البيان، ولذلك فقد استخدمت العرب هذه الطريقة في الكلام وفي الأمثال وفي الأشعار، يقول (أبو عبيدة) في كتابه مجاز القرآن: "ومنها لما يجيء بعدُ في موضع يكون، والعرب تفعل ذلك، قال الشاعر:

إنْ يَسمعوا رِيبة طاروا بها فَرَحًا مني وما يَسمعوا من صالحٍ دَفَنُوا

أي يطيروا ويدفنوا" (ابن المثنى التيمي، 1981، 2: 152).

فقد بدأ الشاعر حديثه بزمن المضارع (يسمعوا) ثم انتقل الحديث إلى زمن الماضي في (طاروا)، والفعل المضارع يدل على التجدّد والاستمرار مع الشك في وقوع الفعل، أما الفعل الماضي فيدلّ على تأكيد وقوع الفعل، والمعنى أنّهم ربما يسمعوا عني ما يسوء، لكنهم بالتأكيد يفرحون حين يسمعون هذا حتى وإن كان غير حقيقي.

يحدث للجملة داخل الآيات القرآنية تحولات عديدة في الزمن، هذه التحوّلات لها أوجهها البلاغية، كما تتعدّد دلالتها ومعانيها اللغوية، حيث تخرج الكثير من الأفعال عن زمن الحديث في الآية الكريمة لتأتي في زمن آخر، فلا يأتي السياق القرآني في نمط واحد بل يحدث تصرّف في زمن الأفعال، وهو ما يثير ذهن المتلقي، ويلفت انتباهه، كما يزيد من تفاعله مع النّص القرآني، وبطبيعة الحال يثري الدلالة اللغوية للجمل.

ظاهرة تغيّر صيغ الأفعال داخل الآيات القرآنية ظاهرة لغوية لها أهميتها في تعدد الدلالات القرآنية، وهو ما يؤكد على أن العلاقة بين علوم اللغة والتصريف وعلم التفسير علاقة قديمة، ففي الأصل قامت هذه العلوم لخدمة القرآن الكريم ولفهم معانيه، حتى إن الزركشي قال إنّ التفسير هو: "علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والّنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات" (الزركشي، 1984، 1: 13)؛ لأن علوم اللغة والنحو نُظّمت قواعدها من أجل فهم كتاب الله تعالى وتفسير آياته واستخراج معانيها وأحكامها، لذلك لا يوجد انفصال بين العلوم اللغوية المختلفة، أما عن صور التحولات التي ظهرت داخل الآيات القرآنية فتتمثّل فيما يلي:

1. الآيات التي بدأت بزمن الماضي ثم تحولت إلى زمن آخر

زمن الماضي هو الزمن الذي يدل على حدث تم وانتهى قبل بداية زمن التكلّم، حيث "يفيد وقوع الحدث أو حدوثه مطلقًا، فهو يدل على التحقيق، لانقطاع الزمن في الحال، لأنه دلّ

على حدوث شئ بل زمن التكلم، نحو: (قام)، (جلس)، (قرأ)" (عكاشة، 2011، 102)، والحديث هنا عن تلك الآيات التي بدأ الحديث فيها في الزمن الماضي، ثم انتقل إلى زمن آخر، فالفعل الماضي في اللغة العربية يدل على استقرار الأمر وتحقّق وقوعه، ومن معانيه التأكيد على الحدث، فإذا استخدم القرآن الكريم الفعل الماضي بدلا من الفعل المضارع ففي الغالب يأتي هذا للتأكيد على وقوع الحدث، حيث إنه في علم الله كأنه حدث بالفعل، وقد ظهرت هذه الظاهرة في العديد من الآيات القرآنية، من مثل قوله تعالى: {أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ} (النحل 1/16).

فالفعل (أتى) بصيغته يدل على حدث تم وانقضى، إلا أنّ الدلالة اللفظية والسياقية في الآية الكريمة في قوله تعالى (فلا تستعجلوه) دلّت على أن الحدث لم يتم بالفعل، فعلى الرغم من أن الصيغة الصرفية تعطي معنى تم وانتهى، إلا أن الصيغة النحوية التركيبية تعطي معنىً آخر.

فإذا نظرنا إلى البيضاوي نجده يقول في تفسيره: "المعنى أن الأمر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث إنه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فإنه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه" (البيضاوي، د. ت.، 7، 309).

التعبير بصيغة الزمن الماضي في حالة الإخبار للتأكيد على أنّ هذا الأمر سيحدث، ولا مفرّ منه إلا بالاستعداد له، ونلاحظ أن التفسير هنا اتّجه إلى التفسير البلاغي، ولم يقم بالتفسير من الوجهة النحوية، حيث إنّ القرآن الكريم استخدم أداة بلاغية –هي الاستعارة– لتوضيح أمر واجب الوقوع وهو في منزلة المُحقّق، وهو ما يتضح في تعليق حاشية الشهاب "أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري (977 – 1069هـ --1569 – 1659م) قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، ولد ونشأ بمصر ورحل إلى بلاد الروم واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر"(الزركلي، 2002، 1: 238) حيث نجده يقول مُعلّقًا على الآية وعلى تفسير البيضاويّ: "الاستعجال: طلب الشئ قبل زمانه، ولذا قيل من استعجل الشئ بل أوانه عوقب بحرمانه، وقوله (أن الأمر الموعود به) يشير إلى أنّ

(أتى) بمعنى يأتي على طريق الاستعارة بتشبيه المستقبل المُحقق بالماضي في محقق الوقوع والقرينة عليه قوله فلا تستعجلوه، فإنه لو وقع ما استعجل" (البيضاوي، د. ت.، 5: 309).

من الحواشي التي تناولت تفسير البيضاوي بالشرح حاشية القونوي "هو إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي الحنفي أبو المفدى عصام الدين الشيخ الإمام الكبير العالم العلامة المحقق الفهامة المتبحر الأصولي المنطقي المفسر (....- 1195هـ - ....- 1781م) أحد الأفراد بالعلوم العقلية والنقلية، ولد بقونية وقرأ على الشيخ مصطفى المرعشي،..وله تآليف كثيرة منها: حاشية على تفسير القاضي البيضاوي، والرسالة العلمية، والحاشية على المقدمات الأربع لصدر الشريعة والرسالة الضادية وغير ذلك" (القونوي، 2001، 6) وقد ذكر القونوي في حاشيته: "أي على الدوام والاستمرار، الاستعجال: طلب وقوع الشئ قبل حينه بخلاف المسارعة، والتعجيل: إتيان الشئ قبل وقته هذا أصله، وقد يستعمل في معنى المسارعة: وهي إتيان الشيئ في أول وقته" (القونوي، 2001، 11: 206)، وذكر القونوي عن قوله تعالى(أتى أمر الله) من الآية السابقة "أتى استعارة تبعية، والمعنى: يأتي أمر الله، ولتحقّق وقوعه استعير له الماضي" (القونوي، 2001، 11: 206-207).

ونجد هنا أن حاشية الشهاب والقونوي اتفقتا في التعليق على تفسير البيضاوي بالتأكيد على الكلام وشرحه وتوضيحه.

ظهر تغيّر التعبير بالزمن الماضي كذلك في قوله تعالى:{وَٱللَّهُ ٱلَّذِى أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ}(فاطر 9/35). حيث جاء الفعل (أرسل) بالزمن الماضي ثم جاء الفعل (فتثير) بزمن الفعل المضارع، ثم جاء بعد ذلك الفعل (فأحيينا) في الماضي، واستخدام الفعل المضارع هنا يزيد من استحضار الصورة في ذهن المتلقي، وكأنه يعيش داخلها ويشعر بها، كما يدل على الاستمرار في الحدث، كما أنه يساعد على استحضار الصورة في ذهن القارئ لكتاب الله تعالى، وهو ما قاله البيضاوي في تفسيره: "(فتثير سحابًا) على حكاية الحال الماضية استحضارًا لتلك الصورة البديعة الدّالة على كمال

الحكمة، ولأن المراد بيان أحداثها بهذه الخاصية ولذلك أسنده إليها، ويجوز أن يكون اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار الأمر" (البيضاوي، د. ت.، 7: 218).

وورد في حاشية الشهاب: "والمقصود أن الإثارة خاصية لها أثر لا ينفك عنها، فلا يوجد إلا بعد إيجادها فيكون مستقبلا بالنسبة إلى الإرسال، فاستعمال المضارع فيه على ظاهره وحقيقته من غير تأويل، لأن المعتبر زمان الحكم لا زمان التكلّم، والفاء دالة على عدم تراخيه وهو شيء آخر فما قيل من أنه مضاف للفاعل أي إحداث الرياح للإثارة وهي تحدث بعد إرسالها فللدلالة عليه بصيغة المستقبل والفاء وإن دلّت عليه، لكن لا مانع من تعدّد الدال على أمر واحد للاهتمام به(قوله للدلالة على استمرار الأمر) يعني أنه أتى بما يدل على الماضي ثم ما يدل على المستقبل إشارة إلى استمرار ذلك، وأنه لا يُختصر بزمان دون زمان، إذ لا يصح المُضي والاستقبال في شيء واحد إلا إذا قصد ذلك إلخ" (البيضاوي، د. ت.، 7: 218).

فالفعل المضارع جاء لحكاية الحال، وهذا ما يفيد التّجدّد والاستمرار الدائم، كما أن صيغة الفعل المضارع تُسهم في استحضار الصورة والشعور بها، وقد عَدّ اللغويون والبلاغيون هذا التحوّل من خصائص اللغة العربية المهمّة، قال السكّاكي: "وإنه –أي الانتقال من التعبير بالماضي إلى المضارع– طريق للبلغاء لا يتحولون عنه، إذا اقتضى المقام سلوكه" (السكاكي، 1983، 247)، فهو من أصل كلام العرب التي عرفت بالبلاغة والفصاحة.

ومن الأمثلة الأخرى الدالة على تغير الزمن في القرآن الكريم قوله تعالى:{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} (الأنعام 94/6).

تصوّر الآية الكريمة هنا مشهدًا من مشاهد يوم القيامة، وهو العرض على الله سبحانه وتعالى فردًا فردًا، بدون أصدقاء أو مدافعين أو شركاء، حيث تتقطع جميع العلاقات في يوم القيامة إلا العلاقة بالعمل الصالح، وقد تم استخدام الزمن الماضي (جئتمونا) بدلا من الفعل في زمن

المستقبل (ستجيئونا)، وفي هذا يقول البيضاوي في تفسيره: "أي مجيئًا كما خلقناكم" (البيضاوي، د. ت.، 4: 98).

اتّجه البيضاوي في التأويل هنا إلى أنّ معنى الفعل الماضي (جئتمونا) يعني المصدر من الفعل وهو (مجيئًا) أما حاشية الشهاب فقد علّقت باقتضاب وقالت: "جملة ولقد جئتمونا إلخ مستأنفة من كلامه تعالى" (البيضاوي، د. ت.، 4: 98)، بالتالي لم يظهر في حاشية الشهاب تعليقات حول الاختلاف في دلالة الآية الكريمة بعد تغير زمن الفعل المستخدم في الجملة، والقونوي يقول في حاشيته: "الماضي لتحقّق وقوعه، والتأكيد للقسم للمبالغة في وقوعه، وهو جملة استئنافية من كلامه تعالى" (القونوي، 2001، 8: 198)، بالتالي اتجه القونوي إلى تفسير سبب تغير زمن الفعل في الآية الكريمة، فاستخدام الفعل الماضي للدلالة على تأكيد وقوع هذا الحدث رغم أنه في المستقبل ويحدث يوم القيامة إلا أنه في علم الله كأنه حدث بالفعل، ونلاحظ في هذه الآية الكريمة أو في ذلك الجزء من تلك الظاهرة اللغوية أن حاشية الشهاب لم تعلّق على تفسير البيضاوي سواء بالتأكيد أو التفنيد، ولكن حاشية القونوي تؤكد ولا تفنّد ما ذكر في تفسير البيضاوي، وهذا يؤكد أن بعض الاختلافات قد ظهرت بين حاشية الشهاب وحاشية القونوي، هذا الاختلاف من شأنه أن يثري الدلالة التي تصل إلى المتلقي.

قال عز وجل:{أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} (البقرة 87/1). في الآية الكريمة تحوّل زمن الفعل الماضي في قوله (كذَّبتم) إلى زمن الفعل المضارع في قوله (تقتلون)، وقد أشار البيضاوي في تفسيره: "ووسّطت الهمزة بين الفاء وما تعلّقت به توبيخًا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبًا من شأنهم، ويحتمل أن يكون استئنافًا والفاء للعطف على مقدّر (استكبرتم) عن الإيمان واتّباع الرسل (ففريقًا كذّبتم) كموسى وعيسى –عليهما السلام– والفاء للسببية أو للتفصيل (وفريقًا تقتلون) كزكريا ويحيى – عليهما السلام– وإنما ذُكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارًا لها في النفوس فإنّ الأمر فظيع، ومراعاة

للفواصل، أو للدلالة على أنّكم بعدُ فيه فإنكم تحومون حول قتل محمد –صلى الله عليه وسلم– لولا أني أعصمه منكم، لذلك سحرتموه وسمّمتم له الشاة" (البيضاوي، د. ت.، 1: 200).

اتّجه البيضاوي لتفسير الكلام بأنه جاء على حكاية الحال، وأنّ هذه عادة دائمة ومازالت موجودة، وهو ما اقتربت منه حاشية الشهاب حين قالت تعليقًا على الآية الكريمة: "وعبّر بالمضارع حكاية للحال الماضية واستحضارًا لصورتها لفظاعتها واستعظامها، وإمّا كونه لرعاية الفواصل، ولذا قدّم مفعوله، فوجهه أنّه من قبيل المشاكلة للأفعال المضارعة فيما قبله فلا يُقال إنّ التعبير عن الماضي بالمضارع لرعاية الفواصل مما لا يوجد في كتب العربية لكنه لا يبعد عن الاعتبار" (البيضاوي، د. ت.، 1: 200)، وبالتالي فقد رجّحت حاشية الشهاب لكون التعبير بالفعل المضارع لاستحضار صورته أو لمشابهة الأفعال المضارعة أو مماثلتها التي جاءت في بداية الآية والتي أتت بعدها.

يقول القونوي: "ومعنى حكاية الحال الماضية عند النّحاة أن القصّة الماضية كأنما عبّر عنها في وقوعها بصيغة المضارع كما هو حقّها ثم حكى تلك الصيغة بعد مضيّها؛ أي من جهة أنّ المضارع لكون آخره نونًا يحصل به المراعاة للفواصل دون الماضي، ولم يرد أنّ التعبير عن الماضي بالمضارع لرعاية الفواصل حتى يرد أن التعبير عن الماضي بالمضارع لرعاية الفاصلة مما لا يوجد في كتب العربية، فعلم منه أنه عطف على حكاية الحال الماضية ميلاً إلى المعنى، فإنّ قوله على حكاية في قوة حكاية للحال الماضية، وأما عطفه على (استحضارا) على معنى أنه أوثر حكاية الحال للأمرين أحدهما معنوي وهو استحضار الصورة والآخر لفظي وهو مراعاة الفواصل..فالوجه في إيراد الواو هنا هو أنّ هذا بناء على كون المضارع في موضع الماضي، مثل الحكاية دون الدلالة، فإن المضارع حينئذٍ في معناه مناسب حين ذكرها بلفظة" (القونوي، 2001، 4: 12)، ومع أنّ حاشية القونوي تدعم تفسير وكلام البيضاوي، إلا أننا نلحظ أن تداخل حاشية الشهاب مع تفسير البيضاوي بالاختلاف حين قال (فلا يقال إنّ التعبير عن الماضي بالمضارع لرعاية الفواصل مما لا يوجد في كتب العربية) كما أنّ حاشية الشهاب خالفت تفسير البيضاوي في موضع آخر

حين قال: "وقوله لولا أني أعصمه -يقصد قول البيضاوي- يدل على أنّه أراد بالقتل أعم من القتل بالفعل والعزم عليه وهو تكلّف لا حاجة إليه لأنه -صلى الله عليه وسلم- قتل بالسم حقيقة، ويصح استقبال تقتلون بالنظر إلى ما قبله من التكذيب" (البيضاوي، د. ت.، 1: 200)، فظهر هنا واضحًا تقاطع حاشية الشهاب مع تفسير البيضاوي وتقديم تفسير آخر للظاهرة القرآنية.

يقوله أيضًا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} (الحج 25/22).

وفي الآية الكريمة عطف الفعل المضارع (ويصدّون) على الفعل الماضي (كفروا)، صيغة الماضي (كفروا) مناسبة للفعل (كفروا) لأنهم كفروا قديمًا والآن هم يصدون عن سبيل الله، وربما هذا لأنّ (الصد) عن سبيل الله هو نتيجة طبيعية (للكفر) به، يقول البيضاوي في تفسيره تعليقًا على هذا: "لا يريد به حالا ولا استقبالا وإنما يريد به استمرارًا للصدود منهم؛ كقولهم فلان يعطي ويمنع، ولذلك حسن عطفه على الماضي، وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر إنّ محذوف دلَّ عليه آخر الآية، أي معذّبون" (البيضاوي، د. ت.، 6: 291).

فإرادة التّعبير عن معنى الاستمرار هي التي أدّت للتعبير بصيغة المضارع، فمن الأفضل التعبير بصيغة الفعل المضارع؛ للدلالة على الاستمرار في الفعل، وهو من طبيعة اللغة العربية وما يظهر في كتبها، وقد اتضحت هذه الظاهرة في كتب اللغة العربية، ومنها ما ذكره صاحب الحاشية تعليقُ حاشية الشهاب حين قائلًا:"(قوله لا يريد حالا ولا استقبالا) جعل الفعل المضارع دالا على الدوام كقولهم فلان يُحسن إلى الفقراء إذ المراد به استمرار وجود الإحسان كما في الكشاف، وهذا غير الاستمرار والتجدد، وغير دلالة الاسمية الخبرية فعلا على الثبوت لتصريحه به في قوله تعالى {فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} (المؤمنون - 76) ولا وجه لتعليله بأن المضارع لَمَّا صَلُح للزمانين جاز أن يُستعمل فيهما لعموم المجاز لا لإعمال المشترك في مفهوميه إذا اقتضاه

المقام كما قيل لأنه لا يلائم قوله، ولذلك حسن عطفه على الماضي لاشتمال استمراره على المُضيّ" (البيضاوي، د. ت.، 6: 291)، ويقول القونوي في حاشيته: "قد ثبت في موضعه أن ما وقع صلة منسلخ عن الماضوية والمضارعية فيكون كفروا أيضًا للاستمرار، فلا حاجة إلى التمحل المذكور، ثم قيل المراد بالاستمرار غير الاستمرار التجددي وغير دلالة الاسمية الخبرية فعلاً على الثبوت لتصريحه في قوله تعالى: {فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} (المؤمنون: 76)، ولا وجه لتعليله بأن المضارع لما صلح للزمانين جاز أن يُستعمل فيهما لعموم المجاز لا لأعمال المشترك في مفهوميه إذا اقتضاه المقام، كما قيل لأنه لا يلائم قوله ولذا حسن عطفه على الماضي لاشتمال استمراره على المُضي انتهى، وهذا يُشعر بأن الماضي باقٍ على الماضوية وقد عرفت أنه ليس كذلك" (القونوي، 2001، 8: 41).

ومن مثل هذا ما جاء في قوله عزّ وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} (الحج 63/22).

فقد عدل عن لفظ الماضي (أنزل) إلى الفعل المضارع (فتصبح الأرض مخضرة) ولم يقل: (فأصبحت) بلفظ الفعل الماضي عطفًا على (أنزل)، يقول البيضاوي شرحًا وتفسيرًا: هذا "استفهام تقرير ولذلك رفع (فتصبح الأرض مخضرّة) عطف على (أنزل) إذ لو نصب جوابًا لدلّ على نفي الاخضرار؛ كما في قولك: (ألم تر أني جئتك فتكرمني) والمقصود إثباته، وإنما عُدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان" (البيضاوي، د. ت.، 6: 310)، فالتعبير بصيغة المضارع للدلالة على استمرار الحدث والأثر، وفي هذا تقول حاشية الشهاب تعليقًا وتوضيحًا: "إذ لو نصب أعطى ما هو عكس الغرض، لأنّ معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار؛كما تقول لصاحبك: ألم تر أنّي أنعمت عليك فتشكر، إنْ نصبت فأنت ناف لشكره شاك تفريطه، وإنْ رفعته فأنت مثبت للشكر، وقال سيبويه: سألت الخليل عنه، فقال: هذا واجب كأنّك قلت: (أتسمع إنزال الله من السماء ماء فكان كذا وكذا)، قال ابن خروف: قوله هذا واجب" (البيضاوي، د. ت.، 6: 310-311).

التعبير بصيغة الماضي (أنزل) يدل على تأكيد نزول المطر وإثبات أنّه من قدرة الله ولطفه بعباده، وينتج عن نزول المطر تجدّد الخضرة وإنتاج الزرّع وتجدد الحياة على الأرض، وهو ما يظهر في حاشية القونوي حين يقول: "بتقدير العائد أي: فتصبح به الأرض، واختيار المضارع في المعطوف لأن اخضرار الأرض مستقبل بالنسبة إلى الإنزال مُسبب عنه ولذا عطف بالفاء، (وإنما عدل إلخ) لأنّ صيغة المضارع تدل على الاستمرار التجددي لكن بقاء أثر المطر زمانًا إلخ، ليس من باب الاستمرار التجددي بل من الاستمرار الدوامي في بابه، وإن اعتبر استمراره التجددي بتجدد المطر فهو يقتضي المضارع في الإنزال أيضًا، فالوجه ما قدمناه من أن اخضرارها مستقبل بالنسبة إلى الإنزال والفاء التعقيبية باعتبار بدايته لأن اخضرارها حصل ابتداء عقب الإنزال، ولك أن تحمل الفاء على السببية بدون تعقيب، وفي قوله نفي الاخضرار تنبيه على أنّ قوله فتصبح، فالمراد به مطلق الزمان وخصوص الصبح ليس بمقصود، وخصّ الصبح بالذكر لأن أكثر الحوادث إنما يشاهد أو يحدث في وقت الصبح، وعن هذا قال في بعض المواضع (فأصبحوا خاسرين)، و(أصبحوا نادمين)، و(أصبح فؤاد أم موسى فارغًا) إلى غير ذلك" (القونوي 2001، 8: 107-109)، وحاشية الشهاب والقونوي تتّفقان هنا مع تفسير البيضاوي، على أنها قدمت مجموعة من الشواهد والأمثلة لتأكيد الفكرة وتوضيحها أكثر.

على أن تغيّر معنى صيغة الفعل لم يتوقف عند صيغة زمن الماضي فقط، بل تعدى ذلك إلى صيغة المضارع أيضًا، وهو ما يتكلم عنه المبحث التالي.

2. الآيات التي بدأت بزمن المضارع ثم تحول إلى زمن آخر

يتحدث هذا المبحث عن الآيات التي تبدأ بزمن المضارع ثم يتغير الفعل في الجملة؛ حيث تبدأ بعض آيات القرآن الكريم بالفعل المضارع ثم تنتقل الجملة إلى الحديث بفعل آخر كالفعل الماضي أو المستقبل، والجملة "هي جزء من النسيج العام في بنية النص الكلية" (قدوم، 2015، 39) ومن الآيات التي بدأت بزمن الفعل المضارع قوله تعالى: {أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي

ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (لقمان 29/31).

في الآية الكريمة تم التعبير في البداية بصيغة المضارع (يولج) بعد ذلك تمّ الانتقال إلى زمن الماضي (سخّر) ثم عادت الآية الكريمة بعد ذلك للتعبير بالمضارع (يجري)، وقد تكلم البيضاوي عن هذا فقال في تفسيره: "كل من النيرين يجري في فلكه (إلى أجل مسمى) إلى منتهى معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر وقيل إلى يوم القيامة، والفرق بينه وبين قوله لأجل مسمى أن الأجل ههنا منتهى الجري وثمّة غرضه حقيقة أو مجازًا وكلا المعنيين حاصل في الغايات" (البيضاوي، د. ت، 7: 142-143). الكلام هنا عن الشمس والقمر، فحركة الشمس والقمر مستمرّة منذ أن خلقهما الله تعالى ولن تتوقف إلى يوم القيامة؛ وهو الأجل المسمى وهو نهاية الجري والحركة، تقول حاشية الشهاب تعليقًا: "(قوله كل من النيرين) أي الشمس والقمر لا جميع ما ذكر، والمراد يجريه في فلكه حركته بحركة فلكه لا حركته الخاصة كما بيّنه بعده" (البيضاوي، د. ت.، 7: 142-143).

ويقول القونوي في حاشيته: "إلى منتهى إلخ، تفسير للأجل للتنبيه على أن المراد نهاية المدة لا جميع المدة، مثل (أكلت من ثمره من تفاحة) أو بدل من قوله إلى أجل، وكذا الكلام في قوله إلى آخر السنة والمنتهى آخر البروج، مثل آخر الحوت وهو اسم زمان، إذ الأجل وقت العلم من هذا البيان أنّ المراد من الجري حركته من مبدأ معيّن ونقطة معيّنة إلى أن يرجع إليها في كل سنة شمسية بقرينة تقابله" (القونوي، 2001، 15: 226).

يقول عز وجل في سورة الكهف: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} (الكهف 47/18).

جاء الفعلان المضارعان (نُسيّر) و(ترى) وتم العطف بهما على الفعل الماضي (حشرناهم)، فإذا نظرنا إلى تفسير البيضاوي نجده يقول إنّ التقدير "واذكر يوم نقلعها ونسيّرها في الجو أو نذهب بهم فنجعلها هباءً منبثًا، ويجوز عطفه على (عِنْدَ رَبِّكَ) أي الباقيات الصالحات خير عند

الله يوم القيامة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر نُسيّر بالتاء والبناء للمفعول، وقرئ تسير من سارت (وترى الأرض بارزة) بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها، وقرئ ترى على البناء المفعول (وحشرناهم) وجعلناهم إلى الموقف" (البيضاوي، د. ت.، 6: 106).

اتجه تفسير البيضاوي هنا إلى التفسير بالحكاية عن طريق إضمار كلمة (واذكر) وكأنه حديث سابق ويتم التذكير به، أما حاشية الشهاب فقد علّقت بالقول: "قوله (واذكر) يوم نقلعها ونسيّرها في الجو؛ يعني ليس المراد تسييرها في الأرض أو بالأرض بل قلعها منها وتسييرها في الهواء، وفيه إشارة إلى أن يوم منصوب بذكر مُقدّر قبله، وسيأتي في عامله وجه آخر، قوله: واذكر يوم نقلعها ونُسيّرها في الجو؛ يعني ليس المراد نسيّرها في الأرض أو بالأرض، بل قلعها منها وتسييرها في الهواء، وفيه إشارة إلى أن يوم منصوب بذكر مقدّر قبله" (البيضاوي، د. ت.، 6: 106).

وقد اتّجهت حاشية الشهاب هنا إلى الإسهاب في شرح ما أوجز من كلام البيضاوي، كما تم استخدام صيغة الماضي مع الحشر وصيغة المضارع مع التسيير، وقد "قُرئ (تسير) من سيّرت ونسير من سيّرنا وتسير من سارت أي: تسير في الجو، أو يذهب بها بأن تجعل هباء منبثًا" (الزمخشري، 2009، 622). وهو ما يُفهم من المعاني اللغوية للفعل نفسه، وهذا نكاية بهم ولزيادة عذابهم، وهو ما يؤكده القونوي في قوله: "يعني من فاعل نسيّر أو مفعوله، وعلى قراءة البناء للمفعول يتعيّن أن يكون من القائم مقام الفاعل، أي الجبال وجه كون الواو للحال على هذا الوجه، إذ لو جعلت للعطف كما في الأول لم يكن مُضي الحشر بالنسبة إلى التّسيير والبروز بل بالنسبة إلى زمان التكلّم، فيحتاج إلى التأويل الأوّل؛ أي لتحقّق الحشر وتحقيقه، إن صيغ الأفعال موضوعة للأزمنة المخصوصة التي هي زمان التكلّم وما قبله وما بعده، فإذا استُعملت مُطلَقة يُراد بها تلك الأزمنة حقيقة، وإذا جُعلت قيودًا لما يدلّ على زمان أريد به ذلك الزمانان وما قبله وما بعده، كذا قاله الفاضل المحشي، ويُرَدّ عليه أنّ في ذلك اعتبارين؛ اعتبار زمان التكلم، واعتبار كونه قيدًا لما يدل على زمان، فلمَ رُجّح اعتبار الثاني على الأول مع أن الأول هو المتبادر؟، ويؤيده قول معاني الكلام: إن كان لنسبته خارج في أحد الأزمنة الثلاثة فخبر، فبسبب كونه قيدًا لما يدل على

الزمان لا يخرج عن كون الخارج في أحد تلك الأزمنة إلا أن يقال إنّ كونه قيدًا رجّح الاعتبار الثاني، إذ المقيّد بعد القيد يكون مجازًا، فإنّ الحقيقة زمان التكلم والعلاقة مطلق التقدم، والفرق أنّ في الأول جعل النسبة الكائنة في المستقبل مثل النسبة في الماضي في تحقّق الوقوع وفي الثاني اعتُبر المُضي بالنسبة إلى فعل وقع بعده للنكتة المذكورة، والأول هو المشهور المتداول بين البلغاء بخلاف الثاني" (القونوي، 2001، 12: 96).

يقول تعالى في سورة النمل من القرآن الكريم:{وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ} (النمل87/27).

بدأت الآية بالحديث من خلال المضارع، في قوله تعالى (يُنفخ)، ثم تحوّل الزمن في الجملة للحديث من خلال الفعل الماضي (فزع)، والآية تتحدث عن زمن المستقبل الذي سيحدث يوم القيامة، وهكذا "إن قلت لم قيل (ففزع) دون فيفزع؟ قلت: لنكتة وهي: الإشعار بتحقّق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السماوات والأرض، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون" (الزمخشري، 2009، 792)، وهذا لتأكيد الأحداث التي ستقع يوم القيامة والنظر إليها وكأنها حدثت بالفعل، وقد قال البيضاوي: "(فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ) من الهول، وعبّر عنه بالماضي لتحقق وقوعه" (البيضاوي، د. ت.: 7: 60). فتوجد فائدة للتعبير بصيغة الماضي لا تتحقق إلا به؛ وهي التّعبير بصيغة الماضي للتأكيد على تحقّق الوقوع، أما حاشية الشهاب فتقول تعليقًا: "وقوله (من الهول) أي هول النفخ أو هول المحشر" (البيضاوي، د. ت.، 7: 60). لكنها لم تعلّق على تغيّر زمن الفعل الماضي أو المضارع.

يقول القونوي متفقًا مع البيضاوي؛ الفعل (أَتَوْهُ): "أي حاضرون لحساب الله في الموقف وفي نسخة حاضرين على أنه حال" (القونوي، 2001، 14: 455).

القونوي أيضًا يدعم كلام البيضاوي بقوله: "راجعون إلى أمره أي انقيادهم له قوله، وقرأ حمزة وحفص (أتوه) على أنه ماض ومعناه حضروا الموقف، وصيغة الماضي لِمَا مرّ، وأما قراءة آتوه

بمد الهمزة فاسم الفاعل، أشار إليه بقوله حاضرون الموقف" (القونوي، 2001، 14: 455). وهكذا من الأمثلة السابقة يتضح تغيّر الزمن في الجملة من الفعل المضارع إلى الأفعال الأخرى، كما يتضح دور هذا في اتّساع المعنى كما ظهر في التفسيرات والشروح، ومن الأمثلة التي تدل على تحول صيغة الزمن التحول الذي يحدث لزمن المستقبل داخل الجملة، وقد ظهرت الأمثلة على ذلك في آيات القرآن الكريم.

3. الآيات التي تبدأ بالمستقبل وتدل عليه

يتناول هذا المبحث الآيات التي بدأت بزمن لكن تغير معناها إلى المستقبل بسبب إضافة بعض الأدوات للفعل، أو بسبب صيغة الآية في القرآن الكريم، ثم يعرج إلى ما قالته حاشية الشهاب والقونوي عن هذا التغير، يقول تبارك وتعالى في القرآن الكريم: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} (القمر 45/54). بدأت الآية الكريمة هنا بالمستقبل (سيهزم) ثم انتقل الحديث إلى المضارع (يولّون) قال البيضاوي في تفسيره: "وهو من دلائل النبوة؛ وعن عمر رضي الله عنه- أنه لما نزلت قال لم أعلم ما هي فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته" (البيضاوي، د.ت.، 8: 127). فقد اتخذ البيضاوي الآية الكريمة دلالة على النبوة، لأنه استشراف للمستقبل وإخبار به، وفي حاشية الشهاب "قوله وهو من دلائل النبوة لأن الآية مكية ففيها إخبار عن الغيب وهو من معجزات القرآن ففيه الآية وتأويلها" (البيضاوي، د.ت.، 8: 127). بالتالي فقد ذهبت حاشية الشهاب إلى تأكيد ما جاء لدى البيضاوي، كما أن حاشية القونوي قد ذهبت إلى الاستفادة من وجود المستقبل إلى التأكيد على النبوة: "الآية مكية ففيها إخبار عن الغيب وهو من معجزات القرآن والقرآن من معجزاته عليه السلام فهذا الإخبار من معجزاته عليه السلام" (القونوي، 2001، 14: 336)، وبالتالي نلاحظ هنا الاتفاق بين الحاشيتين في أن استخدام المستقبل هنا للدلالة على نبوة النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم- لأنه أخبر بالغيب وبما سيحدث بعد ذلك، على أن الانتقال من المستقبل إلى الزمن الحالي يدلل على استمرار السؤال والمحاسبة وما فيهما من صعوبة وعذاب.

ويقول تعالى في القرآن الكريم: {سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ} (هود 93/11). بدأت الجملة في الآية الكريمة بالمستقبل (سوف تعلمون) ثم انتقل الحديث إلى المضارع (يأتيه، يخزيه)، تقول حاشية الشهاب: "(قوله اعملوا على مكانتكم إني عامل وقوله بعده ارتقبوا إني معكم رقيب ذكر فيه حال الفريقين فكان الظاهر أن يجري هذا مجراه فيقال سوف تعلمون من يأتيه العذاب يخزيه ومن هو صادق ناج فأشار إلى دفعه بأنه لم يقصد هنا إلى ذكر الفريقين حتى يعطف فيه عطف القسيم على قسيمه وإنما القصد هنا إلى الرد عليهم في العزم على تعذيبه بقولهم لرجمناك والتصميم على تكذيبه بقولهم أصلواتك تأمرك إلخ فقيل سيظهر لكم من المعذب أنتم أم نحن ومن الكاذب في دعواه أنا أم أنتم فقد أدرج فيه حال الفريقين وأن الأمرين جميعا للكفار" (البيضاوي، د.ت.، 5: 131)، وبناء الجملة في الآية الكريمة يدل على بيان كذبهم ووضوحه، ولذلك بدأت الآية الكريمة بقوله تعالى (سَوْفَ تَعْلَمُونَ) بصيغة التهديد واختتمت بقوله تعالى (ارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) كتهديد ووعيد لهم، وتقول حاشية القونوي: "سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم يريد أن المعذب والكاذب أنتم لا أنا وانتظروا ما أقول لكم، سيظهر تأويله أني معكم منظر، فالمراد بمن هو كاذب الكفار كما هو المراد بمن يأتيه عذاب يخزيه أولئك الأشرار" (القونوي، 2001، 10: 188)، وهذا من الوعيد لهم على أفعالهم وما اقترفته أيديهم وصيغة الجملة توضح بيان كذبهم هذا، فالمضارع في اللغة العربية يستخدم للتعبير عن الزمن المتسع، فربما استخدم في الآية الكريمة حكاية عن الحال في المستقبل، أو ما يمكن أن يحدث من الآن لهم كعقاب أو جزاء، ورغم أن الجزاء سيأتي في المستقبل إلا أن استخدام الفعل المضارع يوحي بأنهم سيجدون هذا العذاب في أيامهم الحالية.

من الآيات الكريمة قوله تعالى:{ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} (الزخرف 19/43). فقد تم الانتقال في الآية الكريمة من المستقبل (ستكتب) إلى المضارع (يسألون)، قال البيضاوي في تفسيره: "(ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة (ويسألون) أي عنها يوم القيامة وهو وعيد، وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون" (البيضاوي، د.ت.، 7: 437). والانتقال في

الزمن يثري المعنى اللغوي المستفاد من الآية الكريمة، وهو ما يستفاد من دلالة الزمن؛ فالفعل المضارع يدل على تحقق التجدد، واستخدام الفعل المضارع هنا لاستحضار حالة السؤال وصعوبتها وقسوتها جزاء لفعلهم، وفي حاشية الشهاب "الشهادة هنا بمعنى الحضور ويجوز كونه من الإشهاد وما بعده يناسبه، (قوله وهو وعيد) لأن كتابتها والسؤال عنها يقتضي العقاب والمجازاة عليها وهو المراد والسين للتأكيد، ويجوز أن تحمل على ظاهرها من الاستقبال ويكون ذلك إشارة إلى تأخير كتابة السيئات لرجاء التوبة والرجوع، فلما كان ذلك من شأن الكتابة قرنت بالسين" (البيضاوي، د. ت.، 7: 437). وقد اتجه الشهاب هنا إلى تأويل المستقبل، والنظر إلى المعاني المختلفة له، فتارة يقول إن السين للتأكيد ويقدم المعنى في تلك الحالة، وتارة يشرح الفعل (ستكتب) بمعناه الظاهر وهو دلالته على الاستقبال. على أن حاشية القونوي ذكرت أن: (السين للتأكيد لا للاستقبال لرجاء الرجوع) (القونوي، 2001، 17: 299). وهنا يظهر الاختلاف في التأويل بين حاشية الشهاب وحاشية القونوي؛ ففي حين تخبر حاشية الشهاب أن السين قد تكون للتأكيد أو للاستقبال، تجزم حاشية القونوي أن السين للتأكيد فقط وليست للاستقبال، وهكذا قد اتجهت حاشية الشهاب إلى التأكيد كدلالة، على أن الآية في القرآن تحمل تلك المعاني كاملة، وهذا الاختلاف مما يثري المعنى في الآيات الكريمة.

من الآيات التي بدأ الحديث فيها بزمن المستقبل ثم انتقل الحديث إلى زمن آخر، وقد ظهر هذا في العديد من الآيات القرآنية؛ من مثل قوله تعالى في سورة البقرة من كتابه الكريم: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا} (البقرة 231/2).

الفعل (طلّقتم) جاء بصيغة الزمن الماضي، إلا أنّ الفعل الماضي عندما يُسبق بـ (إذا) يتحول إلى الدلالة على زمن المستقبل، وقد ظهر هذا في كثير من الآيات القرآنية؛ من مثل قوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ} (النصر 1/110)، وقوله تعالى {إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ} (الواقعة 1/56)، وغير ذلك من الآيات القرآنية التي تدلّ على زمن المستقبل وعن أحداث يوم القيامة.

يقول البيضاوي في تفسيره: "(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ)؛ أي آخر عدتهن والأجل يُطلق للمدة ولمنتهاها؛ فيقال لعمر الإنسان وللموت الذي به ينتهي قال:

كُلّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ مُدَّةَ العُم ... رِ وَمَود إِذَا ٱنْتَهَى أَجَلُه

والبلوغ هو الوصول إلى الشئ، وقد يقال للدنوّ منه على الاتّساع، وهو المراد في الآية، ليصحّ أن تُرَتّب عليه" (البيضاوي، د. ت.، 2: 316). وهو تعليق مقتضب صغير حول المعنى المفهوم من السياق القرآني؛ حيث إنّ معنى (بلغن) هنا ليس أن يقع الفعل، بل اقترب وقوع الفعل، وتقول حاشية الشّهاب: "(قوله والأجل يُطلق إلخ) والأجل يقع على المدة كلّها وعلى آخرها، يُقال لعمر الإنسان أجل، وللموت الذي ينتهي به أجل، وكذلك الغاية والأمد، يقول النحويون: مَن لابتداء الغاية وإلى الانتهاء الغاية، وقال:

كُلّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ مُدَّةَ العُم ... رِ وَمَود إِذَا ٱنْتَهَى أَجَلُه

ويتّسع في البلوغ أيضًا، فيقال بَلَغ البلد إذا شارفه وداناه، ويقال قد وصلت وما وصل وإنما شَارف، فالغاية أوقعت على جميع المسافة، إذ ليس للنهاية بداية يصح دخول من قبلها، ثم لو كان كذلك لم يضر، إذ لو كانت النهاية متجزئة ذات ابتداء وانتهاء كانت الغاية مطلقة على الجميع؛ فالغاية أقصى الشئ، وأما قول من قال إن الشئ له غايتان ابتداء وانتهاء فلا يدل قول النحويين، فقد ردّ بأن الابتداء إنما يصلح غاية إذا كان الابتداء ممن يقول إن الغاية الطرف مطلقًا وللشئ طرفان بل أطراف، والبيت المذكور للطرمّاح" (البيضاوي، د. ت.، 1: 143).

وتقول حاشية القونوي: "أي آخر عدتهن، فالمضارع محذوف، والأجل هنا بمعنى منتهى المدة، ومنتهى الشيء إما آخر جزء من الشيء أو ما يلاقي آخر جزء منه، والموت من قبيل الثاني، لكن الظاهر أن يقال ينتهي عنده بدل به والغرض من الشعر ونقله الاستشهاد على مجيء الأجل بمعنى منتهى المدة، إذ المتعارف إطلاق الأجل على مجموع المدة نفسها وكلها، وقد يقال للدنو منه مجازًا أوليًا، ولما كان هذا معنى مجازيًا محتاجًا إلى القرينة قال ليصح إلخ، وأما القول بأنه استعارة تشبيهًا للمتقارب بالواقع فخلاف الظاهر" (القونوي، 2001، 5: 269).

هكذا فقد ظهرت العديد من الظواهر اللغوية والنحوية في القرآن الكريم، وكان من أبرزها تعدّد الصيغ الزمنية والانتقال من صيغة إلى أخرى، مما يعطي إحساسًا أكبر بالزمن المتّسع والمفهوم من النص، وهو ما يكشف عن وجه من وجوه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، كذلك اتساع في الدلالة اللغوية لآيات القرآن الكريم، وقد تفاعل تفسير البيضاوي مع هذه الظاهرة اللغوية، كما تفاعلت حاشية الشهاب وحاشية القونوي، ومما سبق عرضه من تفاعل حاشية الشهاب وحاشية القونوي مع تفسير البيضاوي اتضحت مجموعة من النتائج أبرزها في النقاط التالية:

أبرز النتائج:

1- اهتم البيضاوي في تفسيره بإبراز الجوانب اللغوية والدلالية من خلال تفسيره للقرآن الكريم.

2- من الأساليب اللغوية المهمة التي ظهرت في آيات القرآن الكريم تحول الصيغ والتعبيرات الفعلية داخل الآيات القرآنية.

3- تشترك البنية الصرفية للأفعال مع السياق اللغوي والنحوي في فهم معنى الجملة داخل الآيات القرآنية.

4- تم توظيف تحوّل الأفعال داخل الآيات القرآنية لمطابقة الحياة الواقعية، وكأن القارئ يعيش الحدث ويراه.

5- العلاقة بين علوم اللغة والنحو وعلم التفسير علاقة قديمة، وتشترك جميعًا في خدمة القرآن الكريم، وفهم اتساع المعنى في اللغة العربية.

6- ظهر تأثر حاشية الشهاب مع تفسير البيضاوي في عدة أشكال؛ حيث ظهر هذا التفاعل بالموافقة والشرح والتفسير أحيانًا، أو بمخالفة الرأي وتفنيده في أحيان أخرى، أو بالابتعاد وتقديم تفسير وتحليل مختلف.

7- تأثرت حاشية القونوي بتفسير البيضاوي في عدة أشكال؛ حيث ظهر هذا التأثر بالموافقة والشرح والتفسير دائما ولم يلاحظ مخالفتها لتفسير البيضاوي.

EXPANDED SUMMARY

Linguistics has been associated with interpretation science since its inception, Therefore, there are many poetry evidences and linguistic issues in the books of interpretation, And so on, This study searches in the book of Interpretation of the Koran Especially Interpretation of al-Baydawi; example The Moods of verb.

The grammarians divided the verb in Arabic into three sections; The past, present and future tense, However, sometimes The meaning of the verb changes in sentence in the verses of Holy Qur'an, and verbs appeared in contrast to this division, Sometimes the Qur'anic verses began with the form of past tense and then turns to expression in present tense form, There are many examples in the Holy Quran, Allah Almighty Said in the Glorious Quran;

{وَٱللَّهُ ٱلَّذِى أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ} (فاطر 9/35)

The meaning of this verse in Holy Quran (And it is Allah who sends the winds, and they stir the clouds, and We drive them to a dead land and give life thereby to the earth after its lifelessness. Thus is the resurrection.), At other times, the Qur'anic verses began with the form of the present tense and then turns to the form of the past tense; Allah Almighty Said in the Glorious Quran ;

{وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ} (النمل 87/27).

The meaning of this verse in the Holy Quran (And [warn of] the Day the Horn will be blown, and whoever is in the heavens and whoever is on the earth will be terrified except whom Allah wills. And all will come to Him humbled.)

Many linguists have spoken about The Moods in Holy Quran; like Ḍiyā' al-Dīn Naṣr Allāh ibn Muḥammad Ibn al-Athīr (1160-1233) In his book Al-maṯal al-sāʾir fī adab al-kātib wa-al-šāʿir, and also Muḥammad Ibn-Bahādur az- Zarkašī (1344 -1392) as well Ebū Muhammed Abd-alān ibn Müslüman ibn Qutayba (828 -889) explained linguistic issue. this linguistic issue (change of tense) is one of the types of rhetoric which Arabic language and Arabs are famous, and it is a qualities of Arabic language, therefore it appeared in Arab words as in their poems.

Thus, the research was divided into three sections and conclusion; first section about The verses of Qur'an that started with the past tense, and then were transferred to another tense; Allah Almighty Said in the Glorious Quran;

{أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ} (النحل 1/16)

The meaning of this verse (The command of Allah is coming, so be not impatient for it. Exalted is He and high above what they associate with Him.)

The second section about The verses of Qur'an that started with present tense, and then were transferred to another tense; Allah Almighty Said in the Glorious Quran ;

{وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا} (الكهف 47/18).

The meaning of this verse (And [warn of] the Day when We will remove the mountains and you will see the earth prominent, and we will gather them and not leave behind from them anyone.) Qur'an talk about the events of the day of judgment, For Allah it is really happened, so past tense was used.

The third section about The verses of Qur'an that started with Future tense; Allah Almighty Said in the Glorious Quran;

{وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ}

(الزخرف 19/43)

The meaning of this verse (And they have made the angels, who are servants of the Most Merciful, females. Did they witness their creation? Their testimony will be recorded, and they will be questioned.)

From the previous summary we conclude that transferred to another tense enriches meaning. In the conclusion section, are included the results obtained, Such as; First, Abdullah ibn Omar ibn Muhammed Nasīr al-Dīn el Baydawi has described The Moods of tenses in his Exegesis, Linguistics has been associated with interpretation and was emerged for Qur'an, and The effect of Al-Shehab was influenced in el Baydawi's interpretation.

المصادر والمراجع

el-Kur'ân el-Kerîm.

el-Beyzâvî, Nâsıru'd-dîn Ebi'l-Hayr 'Abdullâh b. 'Umar b. Muhammed eş-Şîrâzî eş-Şâfi'î. Envâru't-Tenzîl ve Esrâru't-Te'vîl 'İnâyetu'l-Kâdî ve Kifâyetu'r-Râzî 'Alâ Tefsîri'l-Beyzâvî. 8 Cilt. Beyrût: Dâru Sâdır, Tz.

El-Esterâbâzî, Radiyyullâh Muhammed b. el-Hasan. *Şerhu Kâfiyeti İbni'l-Hâcib*. 2. Cilt. Beyrût: Dâru'l-Kutubi'l-'İlmiyye, 1998.

El-Fîrûz Âbâdî, Muhammed b. Ya'kûb b. Muhammed b. İbrâhîm eş-Şîrâzî. El-*Kâmûsu'l-Muhît.* Beyrût: Muessesetu'r-Risâle, 2003.

Halîfe, Hâcî. *Keşfu'z-Zunûn 'An Esâmi'l-Kutub ve'l-Funûn*. 2 Cilt. Beyrût: Dâru İhyâi Turâsi'l-'Arabî, ts.

İbnu'l-Esîr, Ziyâu'd-dîn Nasrullâh b. Muhammed. *El-Meselu's-Sâir fî Edebi'l-Kâtib ve'ş-Şâir*. Thk. Ahmed el-Hûfî, Bedevî Tabâne. 4 Cilt. Er-Riyâd es-Sa'ûdiyye: Dâru'r-rifâ'î, 1983.

İbnu'l-Musennâ et-Teymî, Ebû 'Ubeyde Ma'mer. *Mecâzu'l-Kur'ân*. 2. Baskı. Beyrût: Muessesetu'r-Risâle, 1981.

İbnu 'Akîl, Behâu'd-dîn 'Abdullâh. *Şerhu Elfiyeti İbni Mâlik*. Thk. Muhammed Muhyi'd-dîn 'Abdu'l-hamîd. 4 Cilt. Kahire: Dâru't-Turâs ve Dâru Mısr li't-Tibâ'a, 1980.

Kaddûm, Mahmûd Muhammed. *Nahvu'n-Nas zi'l-Cumleti'l-Vâhide Dirâse Tatbîkiyye fî Mecmai'l-Emsâl li'l-Meydânî. Es-Saûdiyye: Dâru Vucûh li'n-Neşr ve't-Tevzî',* 2015.

El-Konevî, ʻİsâmu'd-dîn İsmâʻîl b. Muhammed el-Hanefî. *Haşiyetu'l-Konevî 'Alâ Tefsîri'l-İmâm el-Beydâvî*. 20 Cilt. Beyrût: Dâru'l-Kutubi'l-ʻİlmiyye, 2001.

Er-Râzî, Muhammed b. Ebî Bekr b. Abdulkâdir el-Hanefî. *Muhtâru's-Sıhâh*. Beyrût: Dâru'l-Kuttâbi'l-ʻArabî, 2002.

Es-Sekkâkî, Ebû Yaʻkûb Yûsuf b. Ebî Bekr Muhammed b. ʻAlî. *Miftâh'ul-'Ulûm.* Thk. Naʻîm Zerzûr. Beyrût: Dâru'l-Kutubi'l-ʻİlmiyye, 1983.

Sîbeveyh, Ebî Bişr ʻAmr b. ʻUsmân b. Kanber. *el-Kitâb.* Thk. ʻAbdu's-selâm Muhammed Hârûn. Kahire: Mektebetu'l-Hâncî, 1988.

ʻUkâşe, Muhammed. *Et-Tahlîlu'l-Luğavî fî Dav'i 'İlmi'd-Delâle Dirâsetun fi'd-Delâleti's-Savtiyye ve's-Sarfiyye ve'Nâhviyye ve'l-Mu'cemiyye.* Kâhire: Dâru'n-Neşri li'l-Câmiat, 2011.

Ez-Zemahşerî, Ebu'l-Kâsım Câru'l-lâh Mahmûd b. ʻUmar. *Tefsîru'l-Keşşâf 'An Hakâiku't-Tenzîl ve 'Uyûni'l-Ekâvîl fî Vucûhi't-Te'vîl.* Beyrût: Dâru'l-Maʻrife, 2009.

Ez-Zerkeşî, Muhammed b. ʻAbdullâh. *El-Burhân fî 'Ulûmi'l-Kur'ân.* Tkh. Muhammed Ebu'l-Fadl İbrâhîm. 4 Cilt. Kâhire: Dâru't-Turâs, 1984.

Ez-Ziriklî Hayreddîn, *el-A'lâm Kâmûsu Terâcim li Eşheri'r-Ricâli ve'n-Nisâ mine'l-'Arabi ve'l-Musta'ribîn ve'l-Musteşrikîn*. Lübnan: Dâru'l-ʻİlm li'l-Melâyîn, 15. Baskı, 2002.

https://quran.com/ - 28.05.2020